

عتبة 9

ما وراء الحافة

في الطفولة نعتقد أن العالم ينتهي حيث ينتهي نظرنا

.التل وراء القرية

.الطريق وراء الحيّ

.الأفق وراء البحر

.نظن أن الحدّ يتطابق مع ما نعرفه

.ثم نكبر

.ونكتشف أن أهم الحواف ليست جغرافية

.إنها داخلية

لسنوات كثيرة تخيلتُ حياتي كمجموعة من الأقاليم التي
يمكن بلوغها

.عمل

.منصب

.هدف

.مشروع

.كلما بلغت غاية، ظهرت أخرى

.كلما عبرتُ حدًّا، وجدتُ حدًّا جديدًا

.في البداية كان الأمر مثيرًا

.بدا شكلاً من التقدم

.ثم بدأتُ ألاحظ شيئًا

.لم تكن الغايات هي ما يحوّلني

.بل العبور

اللحظة التي أترك فيها الأرض المعروفة وأضع قدمي في شيء لم أعد أتحكم فيه.

.هناك كانت تحدث الأشياء المهمة.

.دائمًا هناك

.لا في الأمان أبدًا.

.دائمًا على الحافة.

.الحافة مكان خاص.

.لا تنتمي إلى الماضي.

.لا تنتمي إلى المستقبل.

.إنها خط رفيع حيث تنتهي اليقينيات وتبدأ الاحتمالات.

.لهذا تخيف.

.ولهذا هي ثمينة.

.عبرْتُ حوافَّ كثيرة في حياتي.

.بعضها مهني.

.بعضها شخصي.

.بعضها غير مرئي لأحد سواي.

.اليوم الذي تركتُ فيه أمانًا.

.اليوم الذي قبلتُ فيه مسؤولية أكبر.

.اليوم الذي غيّر فيه مرض معنى الزمن.

.اليوم الذي غيّرت فيه خسارة معنى الحب.

.في كل مرة كانت الآلية نفسها.

.أولًا الخوف.

.ثم الشك.

.ثم الخطوة

.وأخيرًا الاكتشاف.

مع مرور السنين تعلمتُ أن كل الأشياء المهمة تقريبًا تعيش وراء الحافة.

.الحب يعيش وراء حافة السيطرة.

.الثقة تعيش وراء حافة الخوف.

.النمو يعيش وراء حافة العادة.

.الحرية تعيش وراء حافة الأمان.

.والمعنى يعيش وراء حافة الأنا.

.هذا لا يعني أن الحافة مريحة.

.ليست كذلك أبدًا.

.لا أحد يعبر حُفًّا حدًّا داخليًّا دون أن يدفع شيئًا.

.يجب ترك قناعات خلفنا.

.عادات.

.هويات.

.نسخ متجاوزة من الذات.

.كل تحوّل يتطلب انفصالًا.

.وكل انفصال يولّد شكلاً من الألم.

.لهذا يفصل كثير من الناس البقاء.

.ليس لأنهم ضعفاء.

.بل لأنهم يدركون الثمن

.المشكلة أن البقاء أيضًا له ثمن

.ثمن أقل ظهورًا

.لكنه حقيقي

.ثمن الاحتمال الضائع

.ثمن الحياة التي لم تُعش

.ثمن السؤال الذي بلا جواب

أحيانًا تساءلتُ ماذا كان سيحدث لو اخترتُ الحذر مرات
أكثر.

.لربما ارتكبتُ أخطاءً أقل

.لتألمتُ أقل

.لخاطرتُ أقل

.لكنني كنتُ سأصبح شخصًا مختلفًا

.ربما أكثر حمايةً

.وبالتأكيد أقل اكتمالًا

لأننا في كل مرة نعبر فيها حافة، يُكشف لنا أخيرًا جزء من
الواقع.

.ليس قبل ذلك

.ليس بعده

.فقط أثناء العبور

.هذا هو السبب في أن لا كتاب يمكن أن يحل محل تجربة

.لا نصيحة يمكن أن تحل محل اختيار

.لا نظرية يمكن أن تحل محل حياة معيشة

.يمكننا أن نستعد
.يمكننا أن ندرس
.يمكننا أن نصغي
لكن العبور يظل دائمًا من شأننا
.وهو عبور منفرد
.يستطيع الناس مرافقتك حتى الحافة
.يستطيعون تشجيعك
.يستطيعون إسنادك
.يستطيعون محبتك
لكن الخطوة الأخيرة تخص دائمًا من يخطوها
مع الوقت بدأت أرى الحافة لا كعائق بل كدعوة
دعوة للخروج مما أعرفه سلفًا
للكفّ عن تعريف نفسي بما فعلته
لإفساح المجال لما كان بوسعي أن أصيره بعد
هذا الوعي غيّر علاقتي بالمستقبل
كففت عن اعتباره وجهة
بدأت أعتبره إقليماً للاستكشاف
لم يكن عليّ أن أتحكم فيه
كان عليّ أن أعبره
إنه فرق هائل
لأن السيطرة تولّد توترًا
الاستكشاف يولّد فضولًا

والفضول أحد أرقى أشكال الشجاعة.
إذ أنظر إلى الوراء اليوم، لا أتذكر كل النتائج.
لا أتذكر كل الأرقام.
لا أتذكر كل الانتصارات.
لكنني أتذكر الحواف.
اللحظات التي كان بوسعي أن أعود فيها ولم أفعل.
اللحظات التي كان بوسعي أن أغلق فيها الباب ففتحته.
اللحظات التي كان بوسعي أن أختار فيها الأمان فاخترت
الاحتمال.
لم يكن الأمر يسير على ما يُرام دائماً.
أحياناً أخطأ.
أحياناً دفعتُ ثمنًا باهظاً.
لكنني في كل مرة تعلمتُ شيئاً ما كنتُ لأتعلمه لو بقيتُ
ثابتاً.
وهذا هو المهم.
في نهاية العمر لا تُعرّف فقط بما بنينا.
تُعرّف أيضاً بالحدود التي امتلكتنا الشجاعة لعبورها.
لأن كل إنسان يملك حافة.
خط غير مرئي تبدأ وراءه النسخة التالية من ذاته.
معظم الناس يراقبونها من بعيد.
بعضهم يقترب.
وقلة يعبرونها.
أنا لا أعرف إن كنتُ شجاعاً.

أعرف فقط أنني كلما وضعتني الحياة أمام حافة، حاولتُ ألا
أراجع.

.لأن هناك يصير العالم أكبر

.هناك يصير الإنسان أصدق

.هناك تستمر القصة

.ما وراء الحافة